

التشيع لمعاوية

في عهد العباسيين

كان مقتل الخليفة عثمان بن عفان اول ما شئت الالفة في الاسلام ، وحل
عمرى الوحدة والجماعة ، ودعا الى التجيز والتعزب في الامصار . فتباينت الامور
والبدع ، وتعددت الفرق والشيع ، وتميز كل قطر بزعته ومجلته . ولذلك لما
اراد محمد بن علي بن عبدالله بن الصباس توجيه دعاته الى الامصار قال لهم في
ما حكاها ابن الفقيه في كتاب البلدان^(١) ، وعنه نقل البشاري المتدي في احسن
التقسيم^(٢) ، ويقوت في معجم البلدان^(٣) ، ورواية ابن الفقيه اتم واصح ، قال :
« اما الكوفة وسوادها فشيعة علي وولده . واما البصرة وسوادها فثمانية ثدين بالكتف
تقول : « كُنْ عبدالله المتول ولا يكن عبدالله الفاتل » . واما الخزبرة فحزورية مارقة
وأعراب كأعلاج ومسلمون في اخلاق التصاري . واما اهل الشام فليس يعرفون الا آل
سفيان وطاعة بني مروان مدارة راسخة وجهل متراكم . واما مكة والمدينة فقلب عليهما ابو
بكر وعمر . ولكن عليكم باهل خراسان فان هناك العدد الكثير والمجلد الظاهر . »

التشيع بالاسام

اما كون اهل الشام شيعة آل ابي سفيان ومروان لا يعرفون - واسم ، فهو
ما لا حاجة الى التبيه عليه . ولكن قد خفي علينا كثير من ابناء هذه
المدارة الراسخة التي كانوا يناصبونها كل من لم يشاركهم في تولي بني امية .
فن اطرف ما اتصل بنا من نوادر اخبارها بل من اغرب مظاهرها واثارها ما
ورد في ترجمة ابي الحسن المدائني بروايته قال :

« امر المؤمن احمد بن يوسف بادخالي اليه فلما دخلت ذكر علي بن ابي طالب عليه
السلام فحدثته فيه باحاديث الى ان ذكر لمن بني امية له فقلت : حدثني ابو سلمة اللثمي بن

(١) ص ٢١٥

(٢) ص ٢٩٢ - ٢٩٤

(٣) ج ٢ : ٤١٢ ، طبعه اوروبية

عبد الله اخو محمد بن عبد الله الانصاري قال : قال لي رجل : كنت بالشام فجلت لا اسع احداً يسمي علياً ولا حسناً ولا حسيناً وانما اسع معاوية ويزيد والوليد قال : فمرت برجل جالس على باب داره وقد عطشت فاستقيته فقال : يا حسن اسمع فقلت : اسميت حسناً ؟ فقال : اي والله ان لي اولاداً اسأزم حسن وحسين وجمفر فان اهل الشام يسون اولادهم باسماء خلفاء الله ولا يزال احدنا يلتم ولده ويشبهه وانما سميت اولادي باسماء اعداء الله فاذا لنت انما نحن اعداء الله فقلت له : ظننتك خير اهل الشام واذا جهتم ليس فيها شر منكم^(١)

ولا يخفى ما في استقرار نظائر هذه الملاحظة من الفائدة والجودى في تشييل العصر الشامي الامري في اخلاقه وعاداته ونوادره ونسكاته . وهي وحدها كفاية لتريف شدة تشيع اهل الشام لخلفائهم من بني اوية ومباقتهم في الانتصار لهم . وما زال منهم بدمشق وضواحيها بقية من نسل معاوية اتصلت من عمده وقرعته ، عُرِفَ منها في القرن الحادي عشر للهجرة بيت خليل بن زين الدين الاخنائي « كان اجداده غالبهم قضاة القضاة وصدور الصدور »^(٢) ، وبيت بني الكوكية من التجار الميسرين كان لهم مآثر وخيرات ، ولهم اقارب بمكة اشتهر منهم جمال الدين بن محب الدين المعروف بالجديد كان يضرب به المثل في حسن لب الشطرنج^(٣) .

وكان انحراف اهل الشام عن الطالبين اعظم منه عن الهاشمين . ولذلك لما استولى الفاطميون على دمشق قامت بين المغاربة والبلديين وقائع وقوف ساق ابن القلانسي اخبارها وقال : « كان اهل دمشق يابون المغاربة لمخالفتهم لهم في الاعتقاد ولاهم اويون »^(٤) وبلغ من كراهتهم للطلبيين انهم كانوا يتظاهرون احياناً بمجمل علي بن ابي طالب اذا سئلوا عنه .

« وفي جمادى الاولى سنة احدى وتسعين وثلاثمائة (١٠٠١ م) قبض على رجل من اهل الشام سئل عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب (رضه) فقال لا اعرفه فاعتقله قاضي القضاة الحسن بن النعمان قاضي امير المؤمنين الحاكم باسم الله على الفاعرة المزينة وسدر والشامات والحرمين والترب وبث اليه وهو في السجن اربعة من اليهود وسألوه . فآقر بالشيء مسلم وانه نبي مرسل وسئل عن علي بن ابي طالب فقال لا اعرفه . فامر قائد القواد الحسين بن

(١) ياقوت : ارشاد الاربيب ٣٦٥٧

(٢) خلاصة الاثر للسجى ٢ : ١٢٢

(٣) / / / ٤٩٠ : ٤٩٢

(٤) ذيل تاريخ دمشق ١٦٤

جوهر باحضاره فخلابه ورفق في القول له فلم يرجع عن انكاره . . . رفة علي بن ابي طالب
فتولع المالك بامر فامر بضرب عنقه فضرب عنقه وصاب « ١١ » .

ولا شك ان هذه الاستماتة في رفض زوج فاطمة من اغرب آيات التعصب
والتشيع . ومنها يتضح ما كان بين الامويين والموليين من البغض والعداوة .

السبع بمصر

لم تخل مصر من اشباع لمناوية ولا سيما في الايام الطولونية والاخشيديية .
وكان اشدهم تعصباً له السودان من الجند على كثرتهم وسطوتهم وبلغ عددهم
في آخر دولة احمد بن طولون اثني عشر الفا . قال القاضى شاذلي : « وتبعتم الدولة
الاخشيديية على ذلك »^(١) واشتدت شوكتهم في ليام القائد كافور فكانت
مصر لا تخلو من الفتن في يوم عاشوراء . وفي سنة ٩٦١/٣٥٠ حصلت مناواة
بين الجند وقوم من الرعية عند قبر كلثوم العلوية قتل فيها جماعة من الفريقين .
واشتد سودان كافور على الشيعة فكانوا اذا لقوا احداً سألوه من خالك ؟ فان
قال لهم « معاوية » اكرمه ، وان سكت لقي المكارهه واخذت ثيابه وما
...^(٢) ثم كثرت القول « معاوية خال علي » وكان علي باب الجامع العتيق شيخان
من العامة يناديان في كل جمعة في وجوه الناس من الخاص والعام « معاوية خالي
وخال المؤمنين وكاتب الرحي ورفيق رسول الله (صلم) » . وانا عدواً معاوية
خالاً للمؤمنين لان شقيقته ام حبيبة كانت زوجاً للرسول وبالتالي ام المؤمنين
نظير عائشة وسائر ازواج النبي . وباعتبار هذه الامرة كان معاوية خالاً للمؤمنين .
ولما ورد الخبر بقيام بني حسن بمكة ومحاربتهم الحاج ونهبهم خرج خلق
من الحلين في شوال فلحقوا كافور الاخشيدي بالميدان ظاهر مدينة مصر وضجوا
وصاحوا « معاوية خال علي » وسألوه ان ييمت لندرة الحاج على الطالبيين^(٣) «
وبقي هذا النداء شعاراً لكل شغب واحتجاج حتى بعد قدوم الفاطميين . » وفي

(١) خطط الفريرزي ، مطبعة النيل ، ١٥٧ : ٤

(٢) صبح الاعشى ٣ : ٤٧١

(٣) اتمام الحفاه الفريرزي ٩٦ - ٩٧

(٤) الخطط ١٥٥ : ٤

شهر رمضان سنة ٣٦١ (١٧٢ م) قبض على عجوز عيياء تنشد في الطريق
وُجبت. ففرح جماعة من الرعية ونادوا بذكر الصحابة وصاحوا «معاوية خال
المؤمنين وخال علي» فبث جوهر ونادى في الجامع الصيقل: أيها الناس أقلوا
القول ودعوا الفضول فاننا حبسنا العجوز صيانة لها فلا يتطعن أحد الا حلت
به العقوبة الموجهة. ثم أطلقت العجوز^(١) وفي ربيع الاول سنة ٣٦٢ (١٧٢ م)
عزّر سليمان بن مروة المحتسب جماعة من الصيارفة فشنوا وصاحوا «معاوية
خال علي بن ابي طالب» فهم جوهر ان يحرق رجة الصيارفة^(٢).

التشيع في الجزيرة

روى صلاح الدين الصفدي في كتابه «الروافي بالوفيات» في ترجمة حمد بن
محمد الجزري الاديب الشاعر المتوفى سنة ١٢٥٣/٦٥١ وكان شيعياً غالباً ان
الاكراد كانوا يكفرونه ويمقتونه. قال: وكان اهل الجزيرة اكراداً يقول
خطيبهم «اللهم ارض عن معاوية الخال ويزيد المفضل^(٣)» وتقل الشباب المصري
في كلامه على طوائف الاكراد ان صاحب جومرك كان له «قبائل وعشائر وانفار
وهم ينتسبون الى عتبة بن ابي سفيان بن حرب بن امية^(٤). ومن هاتين
الشهادتين يترجع الرأي القائل بان فرقة اليزيدية المشهورة كانت تنتسب الى يزيد
ابن معاوية الخليفة الاموي لا الى سواه.
ولما ذكر ابن حوقل الرقة قال: «في اهلها ولا. لبني امية شديد»^(٥)

التشيع في خراسان

كان اسم خراسان قديماً حتى في الايام البساسية يطلق على جميع بلاد فارس وما
وراءها ولذلك قال ياقوت: «اول حدودها بما يلي العراق... وآخر حدودها
بما يلي الهند لان جميع ما ذكر من البلاد كان مضمواً الى والي خراسان.

(١) اتماط المنفا، ٨٧

(٢) المعط ١٥٦

(٣) الحادي عشر من الروافي بالوفيات؛ خزانة اكسford ١٣٨ ٢° 22 Seld. arch. 2. inf.

(٤) الشريف بالمصطلح الشريف للمصري ٢٨

(٥) كتاب صورة الارض العليمة الثانية ٢٢٦

وكان اسم خراسان يجمعها»^(١) ولما تقلص ظلّ بني امية عنها «واستقرّ امر بني العباس بالري هرب اكثر اهلها لميلهم الى بني امية لانهم كانوا سفيانية. فامر ابو مسلم باخذ املاكهم واموالهم ولما عادوا من الحج اقاموا بالكوفة سنة ١٣٢ (٢٧٤٦) ثم كتبوا الى السفاح يتظلمون من ابي مسلم فامر برد املاكهم فاعاد ابو مسلم الجواب يعرف حافهم وانهم اشدّ الاعداء فلم يسمع قوله وعزم على ابي مسلم برد املاكهم ففعل»^(٢).

وبقي هوى بني امية في خراسان كامناً في الصدور حقة طويلاً من الدولة العباسية. ولما زار الرحالة البشاري المقدسي في اواخر القرن الرابع في ايام الخليفة الطائع بالله، اقليم الجبال، ابي اصفهان وهمذان والري وما اليها من مدائن الشرق قال: «هم اما غرال حنابلة بفرطون في حب معاوية. او بخارية غالية يقطعون بالكفر على الطوائف الهادية»^(٣) وورد له مثل هذا في اخباره عن اليهودية قصة اصفهان فقال: «غوال حنابلة» وفي نسخة اخرى «يعرطون في معاوية»^(٤) واتفق له في اصفهان نكتة نشبت في هذا المقام اشارة الى الحد الذي كان بلغه حب معاوية من الفسوق والافراق في المصر المجاور لخراسان حيث نشأت الدعوة العباسية قال: «في اهل اصفهان بله وغنوّ في معاوية ووصف لي رجل بالزهد والتعب قد صدقته وتركت الغافة خافي وبث عنده تلك اللبلة وحملت اسائه الى ان قلت: «ما قولك في صاحب؟ فجعل يلمنه ثم قال: انه انا انا بذهب لا نرفقه. قلت: وما هو؟ قال: يقول: «معاوية لم يكن مرسلًا. قلت: وما تقول انت؟ قال: اقول كما قال الله عز وجل: لا نفرق بين احد من رسله. ابو بكر كان مرسلًا وممر كان مرسلًا. حتى ذكر الاربعة ثم قال: ومعاوية كان مرسلًا. قلت: لا تهل اما الاربعة فكانوا خلفاء ومعاوية كان ملكًا قال النبي (صلى الله عليه وسلم): هذا رافضي». فلو لم تدر كني الغافة لبشوا بي. ولم في هذا الباب حكايات كثيرة.»^(٥)

ومن هنا يعرف كيف تطور حب معاوية تدريجياً، وكيف ان شقيق ام حبيبة بعد ان كان «خال المؤمنين وكاتب وحي رب العالمين» لم يلبث ان

(١) معجم البلدان ٢: ٤٠٦ - ٤١٠

(٢) الكامل لابن الاثير ٥: ١٤٨

(٣) احسن التقاسيم ٢٨٤

(٤) ٢٨٨ - ٢٨٩

(٥) ٢٩٩

صار رسلاً . وليت البشاري نقل لنا ابضاً قسماً آخر من هذه الحكايات
الكثيرة التي اشار اليها لنقف منها على تاريخ التشيع لماوية في تقلباته واورصافه .

التشيع في الاندلس

لم يكن في الاندلس ما كان في الشرق من تعدد الاحزاب والمذاهب
وشدة التخاصم والتنازع بين السنة والشيعة . وكان المذهب الغالب هناك مذهب
الايام مالك ولذلك قال ابن سيده المرسي الاندلسي صاحب المعخص في اللغة
من ارجوزة له :

أتبع المبر الاجل مالكا وان تبت غيره فذلكا
ككاشافي واي حنيفه كلاهما ذو ورع وخيفه (١)

وسكت بتاتاً عن احمد بن حنبل فلم يكن من ثم للحنابلة في الاندلس
شأن كما كان لهم في بغداد مثلاً ، وهم الذين تولوا فيها معاوية وافرطوا في
الانتصار له . وقام منهم في خراسان غلاة تجاوزوا كل حد في تفضيله حتى عدّ
عند قوم منهم رسلاً كما تقدم . ولما كان الاندلس مباءة الامويين ومقر
سلطانهم ووطن انصارهم ، كان ذكر معاوية فيه مقروناً بالرحمة والرضوان . وقد
قذف ابن سيده في ارجوزته المذكورة كل من تناوله بالظن والذم فقال :

ومن يكن يقدح في معاوية فذاك كلب من كلاب معاوية (٢)

ومثل هذا القول من احد اقرب الملم في المغرب يشف عما كان وراءه
من الحب والولاء لاول الخلفاء الدمشقيين .

ومن اشهر من عُرف ايضاً من العلماء الاندلسيين بالدفاع عن معاوية
والامويين عموماً الامام ابن حزم فقد حفظ عنه « تشييعه لامراء بني امية ماضيهم
وباتيهم بالشرق والاندلس واعتقاده بصحة امامتهم وانحرافه عن سواهم من قريش » (٣)

التشيع في العراق

قد يغلب على الظن لاول وهلة ان حب معاوية وآله كان منحصرأ في
الشام وحده لم يتجاوزه قط الى العراق ، موطن الشقاق والنفاق ، في قول الحاجج ؛

(١) المزنة الشرقية ٣ : ١٩٠

(٢) ارشاد الاريب لياقوت ٥ : ١٣٠

وان دولة بني العباس لما قضت على بني امية وتبعت رجالهم وآثارهم قتلاً وتشريداً وتخريباً نسخت ذكركم من الافئدة والابنية ، واتصلت اولياهم ودعاتهم من المدن والامصار . ولكن هنالك ادلة كثيرة على ان التشيع للاويين لم يؤل بزوال ملكهم بل ظل يكمن تارة ويظهر اخرى حسب تشدد السلطان في اقتصاص آثاره وانتصاص انصاره . وهذه بغداد نفسها ، مع انها كانت مقر اعدائهم وعاصمة الخلافة العباسية ، لم تخل في وقت من متحيرة للمثانية والامرية ، وبجواهر بفضائل معاوية . وقد نقل عن ابي عمر الزاهد من ائمة اللغة واكابر اهلها في بغداد حيث كانت وفاته سنة ١٥٦/٣١٥ انه كان « قد جمع جزءاً في فضائل معاوية فكان لا يمكن احداً من السماع منه حتى يبتدىء بقراءة ذلك الجزء »^(١) . وسبقه الجاحظ المشهور فوضع كتاباً في إمامة المروانية واقوال شيعتهم قال المسعودي : « ورأيت مترجماً بكتاب امير المؤمنين معاوية بن سفيان في الانتصار له من علي بن ابي طالب رضي الله عنه وشيئته الرافضة يذكر فيه امامة بني امية وغيرهم »^(٢)

وكانت شيعة علي في العراق ولا سيما الكوفة وبغداد تؤتم كل من دافع عن عثمان بن عفان ولم يتبعوا من الشيخين ، وتلدن معاوية وسائر الاويين . قال ابن المبارك : من اراد الشهادة فليدخل دار البطيخ بالكوفة وليقتل : رحم الله عثمان بن عفان^(٣) . قال ابو عمر الهذلي : قلت لرجل من اهل الكوفة : خير موضع بالكوفة اين هو ؟ قال مسجد الجامع قلت وسوء موضع عندنا دار البطيخ فلو قال رجل في خير موضع عندكم رحم الله عثمان تلت ولو قال في سوء موضع عندنا لا رحم الله معاوية قتل فسر موضع عندنا خير من خير موضع عندكم^(٤) .

ولذلك لما دخل الجاهل الشاعر البصري بغداد في ايام جعفر المتوكل - وكان قد كتب في حمله اليه - انشده

ليس لي ذنب ان الشيمة الا خلتين

(١) ارشاد الاريب لياقوت ٢١:٧

(٢) مروج الذهب ، جاش نفح الطيب ، ٣: ٦١

(٣) تاريخ بغداد للخطيب ١: ٤٧

حبّ عثمان بن عفان وحبّ المومنين (١)

وفي ضدّ ذلك كان فريق من اهل السنة يصرون بتفضيل معاوية وبياتون في تقدير فضائله ويهدون رافضياً كل من لم يرّ رأيهم فيه . وقد حكى البشاري المقدسي نكتة حرّية بالذكر في هذا الباب قال :

« كنت يوماً بمجامع واسط واذا برجل قد اجتمع على الناس فدنوت منه فاذا هو يقول حدثنا فلان عن فلان عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ان الله يدني معاوية يوم القيامة فيجلسه الى جنبه وينقله يده (اي يطيّبه بالغالية) ثم يجلوه على الملقن كالمروس فقلت له باذا ؟ بحاربه علباً ؟ رضي الله عن معاوية وكذبت انت يا ضال . فقال : خذوا هذا الرافضي فاقتلوا الناس عبي فعرفني بمض الكتبة فكر كرم عني » (٢) (اي دفعهم وردّهم) .

واخص من عرفوا بمؤالاة معاوية والدفاع عنه الحنابلة . ولهم في بغداد مقامات مذكورة . وقد اشتهر امامهم احمد بن حنبل بحسن رأيه في معاوية واشاره له ، فلا غرو اذا قلده اشباعه في هذا الحب وغالوا فيه وقد سئل مرة «ايما افضل معاوية او عمر بن عبد العزيز فقال : «لنبار حتى بانف جواد معاوية بين يدي رسول الله خير من عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وامانتنا على محبته»^(٣) . وما تقدم يتضح ما كان للتشيع لمعاوية في العراق من الشأن والانتشار حتى كان يجاهر به بسمع من الخلفاء الباسيين في حلقات الدروس ومحال القضاة دون اقل انكار . واشتهر بالمغالاة فيه من اهل السنة الحنابلة كما سبق ، وهو ما اشار اليه البشاري المقدسي حيث قال : « حنابلة العراق غالية متبهاة يفرطون في حب معاوية ويررون في ذلك اخباراً منكورة بخاصة البرهانية»^(٤) . ولم يكن هذا التعصب للنصين علي ومعاوية لا يُسمع صده الا في الاندية وحلقات الاسراء فقط بل كان كثيراً ما يتعدى هذه المجالس والمدارس الى الازقة والسبل ويثير فيها من الشب والفتن ما يتجاوز طمن الالسة الى طمن الالسة فتسيل الدماء وتذهب النيران في المحال والابنية . وكان بعض المحتالين والفقراء يرتقون من مثل هذه المناظرات والاهراء ويتظاهرون

(١) تاريخ بغداد للبنداري ، ٦١٥٢ ، باريس ، ٢٦ .

(٢) احسن التقاسيم ، ٢٦ .

(٣) شذرات الذهب للمعاد الحنبلي ، ١ : ٦٥ .

(٤) احسن التقاسيم ، ١٢٦ ، حاشية ٢ .

بالانحياز الى احدى الفرقتين ويجولون في الا-واق والشوارع او يقفون في جوار المساجد والمجتمعات وهم ينشدون المدائح والتوسلات باسم احد الخليقتين استاراراً لصدقات اشياءهما. حكى القاضي التنوخي عن «جماعة من شيوخ بغداد انه كان بها في طرف الجسر سائلان اعيان يتول احدهما بامير المؤمنين علي والاخر بمارية ويتعصب لهما الناس وتبجشهما القطع دارة فاذا انصرفا جميعاً اقتدما القطع فانها كانا شريكين يجتالان بذلك على الناس»^{١١}.

وكان السقاة يقفون في الجناز وفي جوانب الجوامع والمساجد ويمرضون على من شاء. الماء المثلوج المعلى بالسكر والسيريق في الجرار والجلاب ويقولون: «اشربوا على حب معاوية»^{١٢}. ولذلك حاول الخلفاء العباسيون غير مرة النهي عن ذكر معاوية بخير وارادوا لئلا يسه على المنابر والضرب على ايدي انصاره فاختفوا واقصروا خوفاً من اضرار نيران الفتى بين العامة وتوسيع خرق الخلاف والتراع. واول من هم بذلك فيما روي واسر بانشاء كتاب بلعن معاوية المأمون، فثناه عنه يحيى بن اكرم^{١٣}. ومعلوم ما تقدم له من الضلع مع الملويين وكان كتابه لا يزال محفوظاً في الديوان في ايام المعتضد حين اراد سنة ٢٨٤/٨٩٧ انشاء كتاب في معناه يُقرأ على الناس «فخوفه عبيد الله بن سليمان ابن وهب (وزيره) من اضطراب النامة وانه لا يأمن ان تكون فتنة فلم يلتفت الى ذلك من قوله... وتقدم الى الشراب والذين يسقون الماء في الجوامع الا يتجرأوا على معاوية ولا يذكره بخير وتحدث الناس ان الكتاب الذي اسر المعتضد بانثائه بلعن معاوية يُقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر فلما صلى الناس الجمعة بادروا الى المقصورة ليلسموا قراة الكتاب فلم يُقرأ. فذكر ان المعتضد اسر باخراج الكتاب الذي كان المأمون اسر بانثائه فأخرج له من الديوان نسخة هذا الكتاب»^{١٤} «وذكر ان عبيدالله بن سليمان احضر يوسف ابن يعقوب القاضي واسره ان يعمل الحيلة في ابطال ما عزم عليه المعتضد في

(١) نوار المعاضرة ١: ٢٨١

(٢) تاريخ بغداد للتجار، ٣١٣١ باريس، ١٦٤

(٣) الساس من كتاب بغداد لاسد بن طيفور، ١١

(٤) تاريخ الطبري، طبعة اردية، ٢: ٢١٦٦ - ٢١٦٧

ذلك وقال : يا أمير المؤمنين اني أخاف ان تضطرب العامة ويكفرن عند سماعها هذا الكتاب حركة . فقال : ان تحركت العامة ار نظقت وضعت فيها السيف فقال : يا أمير المؤمنين فما تصنع بالطالبيين الذين هم في كل ناحية يخرجون ويميل اليهم كثير من الناس لترابتهم من الرسول ومآثرهم وفي هذا الكتاب اطراؤهم واذا سمع الناس هذا كانوا اليهم ايل وكانوا هم أبسط السنة واثبت حجة منهم اليوم ؟ فامسك المعتضد فلم يرد عليه جواباً ولم يأمر في الكتاب بعده بشيء^(١) .

وفي سنة ١٣٣/٣٢١ « هم علي بن يلبق (احد قواد القاهر بالله) والحسن ابن هرون كاتبه بلعن معاوية بن ابي سفيان على المنابر فاضطربت العامة من ذلك وتقدم علي بن يلبق باقبض على البربهاري رئيس الحنبلية فنذر به وهرب وقبض على جماعة من اصحابه وجعلوا في زورق مطبق وأحدروا الى البصرة^(٢) » بقي ان نرى السب الذي كان من اجله بمض اهل السنة وفي مقدمتهم الحنابلة يفرطون هذا الافراط في حب معاوية وبياترون في التعصب له . وهو ما لا يكفي في تعليقه ما نقل من حسن رأي الامام احمد في « صهر الرسول وامينه على وجه » وامل هذا التحزب لم ينشأ في العراق خصوصاً ولم يكن الا رجماً اصدى مبالغات الشيعة في علي بن ابي طالب من باب مقابلة التشيع بضده ، ومكافأة الحضم بقرنه ، ثم ادرجت بذلك الضمائم والحزازات فكان بعض اهل السنة كلما انكروا افراطاً من شيعة علي تلقوهم بمثله في معاوية مناظرة وامثالاً^(٣) . وكل من طالع تاريخ العراق يعلم مبلغ العداء الذي كان مستحكماً بين السنة والشيعة وكثرة الفتن والشورور التي كانت تشور دائماً بين الفريقين ويجري فيها كل قبيح من سلب ونهب وقتل واحراق . فلا عجب

(١) تاريخ الطبري ٦ : ٢١٦٤ - ٢١٧٨

(٢) تجارب الامم لابن مسكويه ٥ : ٢٦٠ - ٢٦١

(٣) من ادل الامثلة على ما كان من المناظرة عموماً بين الشيعة والسنة ما حكاه هلال الصافي في تاريخه قال : جرت عادة الشيعة في الكرخ وباب الطاق بنصب القباب وتطبيق الثياب واتهام الزينة في يوم الندير واشمال النار في ليلته وتمرحل في مبيحته فارادت الطائفة الاخرى من السنة ان تسدل لانفسها وفي محالها واسواقها ما يكون بازاء ذلك فادعت ان اليوم الثامن من يوم الندير كان اليوم الذي حصل فيه النبي وابو بكر في النار وعملت ما قيله

إذا كان خصوم الشيعة^(١) يباثون أحياناً في المجاهرة بكل ما كانوا يعلمون انه يسوء اعداءهم اعتقاده ومن ثم لا يبعد ان يكون قسم من المتحزبين لماوية ولا سيما من العامة والسوقة الذين استدرجتهم البغضاء والاحقاد اكثر من الذين تلقوا التشيع من طريق الاجتهاد والاعتقاد . وقد عثرنا في هذا المعنى في مجلد من تاريخ بغداد لابن النجار في خزائنه باريس ذكر فيه غلطاً اتته للخطيب البغدادي ، على نكتة فريدة تؤيد هذا الرأي نجملها مسك الحنتم قال في ترجمة علي بن محمد بن الكيس ابي القاسم في رواية عنه :

« اخبرنا ابو بكر بن جعفر بن مالك القطيعي في سجده قال : سمعت عبد الله بن احمد ابن حنبل يقول : كنت احبوا فاخذني ابي يدي وعبر في الجسر فقص الي شارح الرصاة فلما اتينا اليه رأينا حياياً في السويق والسكر والماء المبرد بالثلج وخدماء في ايديهم الطاسات يقولون للناس : « اشربوا على حب معاوية بن ابي سفيان . قال : فقلت : يا أبا عبد الله من معاوية ؟ فقال : هؤلاء قوم يتفخروا رجلاً لم يكن الي الطمن عليه سيل فاحبوا اعداءه . قال الشيخ احفظ هذه الحكاية عن ابن مالك فهذه حكاية عجيبة ظريفة » (٢) .

قلنا واعجب من هذه الحكاية ان يكون لابن ابي سفيان اول سرني الدول في الاسلام وسائس الامم وراعي الممالك^(٣) مثل هذه المكانة والشهرة الذائعة التي طبقت الامصار والآفاق وبشت على محبة اشباه هؤلاء الفلاة في خراسان والعراق ثم لا يكون حظه اليوم في وطنه دمشق ، وهي العاصمة التي عقد لها تاج الفخر على هامة الدهر ، الا الجفاء . والاطراح والنسيان وقلة الكرامة والشيعة والانصار فما احقته فيها بقول ابن حزم :

انا الطلق الذي لا عيب فيه سوى بلدي واني غير طاري
نقر لي العراق ومن يلبسها واهل الارض ، الا اهل داري

الشيعة في يوم القدير وجلت باذا . يوم عاشوراء يوماً بعده بثانية ايام نسبت الى مقتل مصعب بن الزبير وزارت قبره بمسكن كما يزار قبر الحسين بالخائر وكان ابتداء ما عمل من يوم القدير في يوم الجمعة لاربع بقين من ذي الحجة (سنة ٦٨٩ م) (الثامن من تاريخ هلال الصافي في ذيل تاريخ الرزرا . ٢٧١)

(١) ذكر ابن بطوطة لما مر ببغداد سنة ٧٣٢ ان قبر احمد بن حنبل « عند اهل بغداد معظم واكثرهم على مذهب » (رحلته ، طبعة وادي النيل ، ١٢٦٤)

(٢) خزائنه باريس ، رقم ٣١٣١ ، ص ١٦

(٣) كتاب النخري لمحمد بن طباطبا ، طبعة مصر ، ص ١٧